

الابتلاء بفتنة النساء

الشيخ محمد صالح المنجد

النبة:

اللوم في الافتتان بالمرأة على الفتاة التي تبرجت، وعلى الشباب الذي استجاب، وعلى وليهما الذي لم يرب هذا، ولم يمنع تلك من الخروج، وعلى الذي يضع العراقيل في طريق الزواج بحجج واهية، ويغلي المهور، أو يضع العراقيل الواهية باسم القبلية، والموازن التافهة الدنيوية.

عناصر الخطبة:

1. أشد الفتن فتنة النساء.
2. خوف السلف من فتنة النساء.
3. حتى لا تقع الفتنة.
4. وسائل النجاة من فتنة النساء.
5. الافتتان بالنساء من سببه؟
6. اعمل للجنة تنجو من الفتنة.

الخطبة الأولى:

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} (سورة آل عمران: 102)، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (سورة النساء: 1)، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} (سورة الأحزاب: 70-71).

أشد الفتن فتنة النساء:

عباد الله، إن فتن الحياة الدنيا كثيرة، فمنها فتنة المال، وفتنة الفقر، وفتنة الغنى، وفتنة الأولاد، وفتنة الحرب، وفتنة الاضطهاد والإيذاء، وغير ذلك من أنواع الفتن، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء)) [رواه البخاري (5096)، ومسلم (2741)]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قول الله تعالى: {زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ

الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ (سورة آل عمران:14)، فجعلهن من حب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع، قبل الذهب والفضة، والحيل المسومة والأنعام والحراث، وقبل فتنة الأولاد، قبل جميع الفتن، بدأ الله بهن في الذكر، **{حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ}**، ومع أنها ناقصة العقل والدين فإنها تحمل الرجال على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كشلهم عن طلب أمور الدين، وحملهم على التهالك على طلب الدنيا، وذلك أشد الفساد.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)) [رواه مسلم (2742)]، وفي رواية للإمام أحمد رحمه الله تعالى: ((إن الدنيا خضرة حلوة فاتقوها، واتقوا النساء))، ثم ذكر نسوة ثلاثاً من بني إسرائيل، ((امرأتين طويلتين تعرفان، وامرأة قصيرة لا تعرف، فاتخذت رجلين من خشب)) من تحت الثياب لتطول، ((فاتخذت رجلين من خشب، وصاغت خاتماً، فحشته من أطيب الطيب المسك، وجعلت له غُلفاً، فإذا مرت بالملأ، أو بالجلس قالت به، ففتحت به؛ ففاح ريحه)) [رواه أحمد (11034)]، هكذا تحايلت لتلفت نظر الرجال إليها.

((فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء)) [رواه مسلم (2742)] قال النووي رحمه الله: "ومعناه: تجنبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجات وغيرهن، وأكثرهن فتنة الزوجات لدوام فتنهن، وابتلاء أكثر النساء بهن".

خوف السلف من فتنة النساء:

ولذلك كان السلف رحمهم الله يحرصون على عدم الافتتان، فقد أرسل بعض الخلفاء إلى الفقهاء بجوائز، فقبلوها، وردها الفضيل، فقالت له امرأته: ترد عشرة آلاف، وما عندنا قوت يومنا، فقال: "مثلي ومثلكم كقوم لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هرمت ذبحوها، وكذا أنتم أردتم ذبحي على كبر سني، موتوا جوعاً قبل أن تذبحوا فضيلاً". ومن أسباب الافتتان بالمرأة -وهو تفسير للقضية- ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في قوله في الحديث الصحيح: ((المرأة عورة)) كلها عورة، لم يستثن وجهاً، ولا كفين أمام الرجال، ((المرأة عورة؛ فإذا خرجت استشرفها الشيطان)) [رواه مسلم (1173)]، فما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((استشرفها الشيطان))؟ يا عبد الله، يا أيها المسلم، فكر الآن في هذه الكلمة: ((استشرفها الشيطان)) لتعلم: من أين أتينا؟! قال المباركفوري رحمه الله تعالى: "أي زينها في نظر الرجال، وقيل: أي نظر إليها ليغويها، ويغوي بها، والأصل في الاستشراف رفع البصر للنظر إلى الشيء، وبسط الكف فوق الحاجب، هذا هو الاستشراف، والمعنى: أن المرأة يستقبح بروزها، وظهورها، فإذا خرجت أمعن النظر إليها ليغويها بغيرها، ويغوي غيرها بها، ليقوعها أو أحدهما في الفتنة، أو يريد بالشيطان شيطان الإنس من أهل الفسق سماه به على التشبيه".

إذن الشيطان يرفع أنظار الرجال إلى المرأة، والشيطان يزين المرأة في أعين الناظرين؛ فترى المرأة إذا خرجت إلى الشارع تمشي ارتفعت إليها أبصار الرجال؛ ذلك لأن الشيطان حريص على تزيينها، وعلى رفع الأبصار إليها، تلقائياً تجد الأبصار تتجه إلى المرأة من حين خروجها إلى الشارع، من حين بدوها للرجل يرتفع البصر إليها،

يستشرفها الشيطان، يجعلها هدفاً منصوباً ملفتاً لينظر إليها الرجال، استشرفها الشيطان، فهي وسيلته لإغواء الناس؛ ولذلك كان السلف رحمهم الله يخافون على أنفسهم أشد الخوف من فتنة النساء، مع عبادتهم، وزهدهم، وورعهم كانوا يخافون على أنفسهم من النساء أكثر مما يخاف نحن على أنفسنا مع ضعفنا، ولا مقارنة بيننا وبينهم. وكان سعيد بن المسيب رحمه الله يقول، وقد أتت عليه ثمانون سنة منها خمسون يصلي فيها الصبح بوضوء العشاء، وهو قائم على قدميه يصلي، كان يقول: "ما شيء أخوف عندي علي من النساء"، وهو ابن ثمانين سنة يعبد الله تعالى يقوم الليالي يقول: "ما شيء أخوف علي من النساء".

حتى لا تقع الفتنة:

ومن أجل فتنة النساء اتخذ الشارع سائر الإجراءات الكفيلة بحماية الرجل من الوقوع في فتنة المرأة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إياكم والدخول على النساء))، فقال رجل: يا رسول الله، أرايت الحموم؟ قال: ((الحموم الموت)) [رواه البخاري (5232)، ومسلم (2172)]، وهو قريب الزوج أخوه، وسائر أقاربه، فهو يشبه الموت في خطره، فهو يؤدي إلى موت الدين، الدخول على النساء الأجنبية، فهو ربما يؤدي إلى الرجم -وهو موت- إذا زنا بها وهو محصن، فقال: ((الحموم الموت))، وقال: ((لا تسافر امرأة إلا ومعها ذو محرم)) [رواه أحمد (1935)]، ((لا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما)) [رواه أحمد (115)]، كل هذه الإجراءات لأجل درء فتنة النساء.

والنبي صلى الله عليه وسلم أظهر الناس مع الصحابة أفضل هذه الأمة كان يعمل سائر الإجراءات الكفيلة بمنع الاختلاط والنظر، فعن أبي أسيد الأنصاري: "أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد فاختلط الرجال مع النساء في الطريق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عما رآه: ((استأخرن؛ فإنه ليس لكن أن تحققن الطريق، عليكن بجافات الطريق))، فالمرأة لا تمشي في الوسط، بل تمشي في الجوانب، والرجال يمشون في الوسط، هكذا كانت الشوارع في المجتمع الإسلامي الأول، فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به" [رواه أبو داود (5272)] رواه أبو داود، وهو حديث صحيح.

وعن أم سلمة رضي الله عنها: "أن نساءً على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كن إذا سلمن من المكتوبة قمن" مباشرة "قمن، وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن صلى من الرجال ما شاء الله" فترة كافية لخروج النساء، "فإذا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قام الرجال" [رواه البخاري (866)] قال الحافظ رحمه الله: "وفي الحديث الاحتياط في اجتناب ما قد يفضي إلى المحذور، وفيه اجتناب مواضع التهم، وكراهة مخالطة الرجال للنساء في الطرقات فضلاً عن البيوت.

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لو تركنا هذا الباب للنساء)) باب في المسجد مخصص للنساء، وإلى الآن اسمه باب النساء، قال نافع: "فلم يدخل ابن عمر منه حتى مات" [رواه أبو داود (462)] حتى مات ما دخل من هذا الباب! هذه الإجراءات وغيرها لأجل درء فتنة النساء.

عائشة رضي الله عنها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بفترة قالت: "لو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحدث النساء" يعني: ما أحدثن بعده؛ "لمنعهن كما منعت نساء بني إسرائيل" [رواه البخاري (869)] وماذا أحدث النساء في عهد عائشة؟ وهي تقول: لو رأى النبي صلى الله عليه وسلم الوضع لمنعهن من المساجد والخروج، فلو رأت عائشة، ولو رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعنا اليوم ماذا تراه يقول؟ وماذا تراه يفعل؟

عباد الله، إن الأمر خطير والله، وإن الخطب جلل، وإن الفساد في انتشار بسبب فتنة النساء، وفي هذا الزمان الذي لم يمر في العالم زمان مثله زينت فيه المرأة لفتنة الرجال، واجتهد فيه أعداء الله في إبراز المرأة، فترى عوامل الجذب والفتنة في الملابس الضيقة والمفتوحة والشفافة، والكعب العالي، والمناكير على الأظفار، ورائحة العطور، والصوت والأزياء الفاضحة، وحتى النقاب الذي تلبسه بعض النساء والبرقع اليوم ربما يكون أشد فتنة مما لو كشفت وجهها بالكليية، والأفلام، والقصص الفاسدة، والمجلات، والدعايات لا تكاد توجد سلعة إلا ومعها صورة امرأة ولا بد، وعروض الأزياء، وكل ذلك يزين المرأة في نظر الرجال، حتى إذا نزلت إلى الشارع والسوق رأيت العجب، وهذه المساحيق والمكياج التي تجعل أشد النساء ذمامة لوحة فنية من الأصباغ، وما تفعله الكوافيرات في وجه النساء.

ثم تحدث الفتنة العظيمة، وتخرج المرأة بهذه الزينة، وتجتمع كل عوامل الإغراء كل العوامل، فلا تدخل دكاناً، ولا سوقاً، أو باب مدرسة، أو مستشفى، أو طائرة، أو غير ذلك من الأماكن إلا ووجدت القضية كلها تدور على الإغراء والإغواء بالمرأة، ولا تكاد تنظر في الصفحة الخارجية لمجلة أو غيرها إلا وتجذ القضية نفسها تدور. إخوان القردة والخنازير الذين وصلوا بالمرأة إلى ما وصلوا إليه، وعمت الفتنة، وثارَت الشهوات، وصار الوضع محزناً لصاحب القلب الحي.

مثل هذا يذوب القلب من كمد *** إن كان في القلب إسلام وإيمان

عباد الله، المسألة كلها مخالفات شرعية في قضية هذه الأشياء، والإغراءات التي تحصل. وتأمل ماذا أحدثه هذا الهاتف من الفتنة في بدء العلاقة، وتطويرها، وتنميتها، والتخطيط للخروج، ثم الخروج، وتأمل كيف يزين الشيطان الحيل بحجة خروجها إلى السوق، أو الدراسة مع صاحبها، أو زيارة صاحبها، وأثناء غياب الزوج في العمل، أو الوردية الليلية، وأيام الاختبارات التي نحن مقبلون عليها بالذات، سيحدث فساد عظيم، وشر مستطير، وأيام البر، وتتخلف الأسرة هناك، والشاب هنا لوحده، وهذه أشياء نحن مقبلون عليها، كل هذه الأمور التي تؤدي إلى الفتنة، والوقوع في الفاحشة، والمسألة فيها غضب من الله، وإغصاب الله، وكل القضية تدور على مخالفة الآيات الشرعية، تأمل في الواقع ثم قارن: **{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ}** (سورة النور: 31) تأمل ثم قارن بقوله: **{وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ}** (سورة الأحزاب: 53)، وتأمل وقارن بقوله: **{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا}** (سورة الأحزاب: 32)، فكيف تستهل البنت الحديث في الهاتف، **{فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا}**

مَعْرُوفًا {سورة الأحزاب:32}، وقارن بقوله تعالى: **{وَلَا تَبْرَحْنَ تَبْرِجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى}** (سورة الأحزاب:33)، وقارن بقوله تعالى: **{وَلَا يَضْرِبْنَ بَأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ}** (سورة النور:31)، المسألة كانت على الخللحال، والآن تفتح العباءة، وتلبس عدة مرات لتصلح من هندامها بزعمها، وهي في وسط الرجال، وقارن بقول النبي صلى الله عليه وسلم: أن "**(المرأة إذا استعطرت، فخرجت، فمرت بالجلس، فهي كذا وكذا)**" يعني: زانية" [رواه الترمذي (2786)].

فإذن المسألة تحتاج في زماننا هذا إلى صبر عظيم، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مجانباً للصواب أبداً، ولا مبالغاً عندما قال: **(إن أخوف ما أخوف عليكم فتنة النساء)** [رواه ابن أبي شيبة (173)]، والذي يتتبع الأخبار يعرف ذلك، وليس المجال مجال التفصيل، ولا تعميم الحال، فهناك صلاح، والحمد لله، وهناك خير، ولكن لا بد من أن نضع الضوابط، وأن نلزم أنفسنا بأحكام الشريعة.

وسائل النجاة من فتنة النساء:

فإن قال قائل: وما هي الإجراءات التي تحمي الرجل من فتنة النساء؟

فأقول: أولاً: قال عليه الصلاة والسلام: **(لا تتبع النظرة النظرة؛ فإن لك الأولى وليست لك الآخرة)** [رواه الترمذي (2777)]، وعن جرير بن عبد الله قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظر الفجاءة، فأمرني أن أصرف بصري" [رواه مسلم (2159)]، ولما رأى الفضل ينظر إلى امرأة وضيئة صرف وجهه إلى الشق الآخر. فإذا مسألة غض البصر هي أساس العلاج؛ لأن المسألة في أولها، وهو أهون شيء النظر، أهون شيء في البداية النظر، قال العلاء بن زياد: "لا تتبع بصرك رداء امرأة؛ فإن النظرة تجعل في القلب شهوة"، وقال أحد الصالحين لابنه: "يا بني امش وراء الأسد والأسود" وراء الأسد والحية والثعبان "امش وراء الأسد والأسود، ولا تمش وراء امرأة!".

نظر الرجل إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام إبليس، والسهم المسموم إذا دخل السم ينتشر: "إياكم والنظرة؛ فإنها تزرع في القلب الشهوة، وكفى بها لصاحبها فتنة"، تزرع الشهوة في القلب. وكان السلف رحمهم الله في غاية الحرص على هذه المسألة، قال سفيان: كان الربيع يغض بصره، فمر به نسوة، فأطرق إطرأً شديداً، حتى ظن النسوة أنه أعمى، فتعوذن بالله من العمى.

وخرج حسان إلى العيد، فقيل له لما رجعت: يا أبا عبد الله، ما رأينا عيداً أكثر نساءً منه، فقال: ما تلقنتني امرأة حتى رجعت، وهو حسان بن أبي سنان لما خرج إلى العيد ورجعت، قالت له امرأة: كم من امرأة حسنة قد نظرت اليوم؟ فلما أكثرت عليه، قال: "ويحك؛ ما نظرت إلا في إهمامي منذ خرجت من عندك حتى رجعت إليك".

وكانوا يجاربون النظر، ويعتبرونه منكراً شديداً، وينهرون فاعله: عن عبد الله بن أبي الهذيل قال: "دخل عبد الله بن مسعود على مريض يعوده، ومعه قوم، وفي البيت امرأة، فجعل رجل من القوم ينظر إلى المرأة، فقال عبد الله

رضي الله عنه: "لو انفقت عينك كان خيراً لك" لو انفقت عينك، وصارت مصيبة، واحتسبت عند الله كان خيراً لك من النظر، واستعمال البصر بالمعصية.

ثم إنه إذا كرره حصل في القلب زرع الفتنة، وذلك أمر يصعب قلعه؛ ولذلك لا بد من الحماية بسد باب النظر؛ فإنه إذا سده سهل بعد ذلك انحسار الأمر.

عباد الله، هذه القضية لا يكاد يطبقها اليوم إلا من رحم الله، غرض البصر عن النساء، وفي معنى النظر وصف المرأة حتى كأنه ينظر إليها، ولهذا نهينا عنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: **((لا تباشر المرأة المرأة، فتنتعها لزوجها كأنه ينظر إليها))** [رواه البخاري (5240)]، وهذه أصل في سد الذرائع، وأن وصف المرأة لرجل الأجنبي عنها يؤدي إلى الافتتان بالموصوفة.

ثانياً: أن الإنسان إذا رأى امرأة فأعجبته؛ فإن كان له زوجة، أو مملوكة أتاها مباشرة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((إن المرأة تقبل في صورة شيطان، وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة، فأعجبته؛ فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه))** [رواه مسلم (1403)]، وأما الأعزب، فإنه يستعين بالصبر والصلاة والصيام الذي هو من أسباب تقليل الشهوة، وقال صلى الله عليه وسلم: **((إذا أحدكم أعجبته المرأة؛ فوقع في قلبه، فليعمد إلى امرأته، فليواقعها؛ فإن ذلك يرد ما في نفسه))** [رواه مسلم (1403)]؛ لأن الذي **((معها مثل الذي معها))** [رواه الترمذي (1158)] كما قال صلى الله عليه وسلم، فيسكن نفسه، ويدفع شهوته، وفي هذا بيان عظيم، وإرشاد كبير إلى قضية العلاج لمثل ما يقع للرجال في هذه المسألة.

ثالثاً: أن الإنسان لا يغشى أماكن الفتنة، ولا يغشى أماكن الخلوة، ثم بعد ذلك يقول: لم أصبر، بل إنه يتمنى عند الحرام؛ ولذلك لما دعت امرأة العزيز يوسف قال: **{مَعَاذَ اللَّهِ}** (سورة يوسف: 23) كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: **((ورجل دعت امرأة ذات منصب وجمال؛ فقال: إني أخاف الله))** [رواه البخاري (1423)]، ومسلم (1031) مع أنها امرأة ذات منصب وجمال، وأين يجتمع هذا؟ ومع ذلك يقول: إني أخاف الله رب العالمين.

رابعاً: ينبغي للرجل إذا تعرضت له المرأة ألا يلتفت إليها، وكثير من النساء اليوم هي التي تتعرض للرجل، وربما تكون هي التي اتصلت، وهي التي تأتي بالإشارات، والحركات الداعية، فماذا يفعل؟ افعل كما فعل جريج رحمه الله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا: **((لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة))**، ومنهم ذلك العابد، تكلم الصبي من أجله، **((كانت امرأة بغي يتمثل بحسنها، فقالت: إن شئتم))** تقول لبني إسرائيل **((إن شئتم لأفتننه))** لأفتن هذا العابد الزاهد، **((فتعرضت له، فلم يلتفت إليها))** هذا هو المهم، هذا هو لب الموضوع الآن، **((فلم يلتفت إليها، فأنت راعياً كان يأوي إلى صومعته، فأمكنته من نفسها؛ فحملت...))** [رواه البخاري (3436)]، ومسلم (2550) الحديث، وفيه كيف خلص الله جريج بسبب صبره، الشاهد قوله: **((فلم يلتفت إليها))**، فمن الذي لا يلتفت اليوم؟ الذي رحمه الله، وأراد به خيراً.

خامساً: لا بد من التأمل في مسألة الفاحشة، فإن الشيطان كتابه الوشم، وقرآنه الشعر، ورساله الكهنة، وطعامه ما لم يذكر اسم الله عليه، وشرابه كل مسكر، وبيته الحمام، ومصائده النساء، ومؤذنه المزمار، ومسجده السوق، وكل هذه الأشياء مع بعضها البعض تؤدي للفتنة العظيمة.

والزنا من أعظم الذنوب والفواحش، وبعضه أشد من بعض، فمن أفحشه الزنا بالمحارم، ومن أفحشه الرجل يزني بزوجة الرجل، أي: المتزوجة، مما يؤدي إلى اختلاط المياه والأنساب، ومن أفحشه أن تكون المرأة المزي بها جارة: ((ولأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره)) [رواه أحمد (23342)].

النبي صلى الله عليه وسلم أخبرنا عن عقوبة الزناة والزواني في البرزخ قبل دخول جهنم، في تنور، في فرن يأتيهم اللهب من أسفل منهم؛ فيرتفعون، فيصيحون، فإذا حمد اللهب سقطوا، ثم يأتيهم مرة أخرى فيرتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا، وهكذا إلى قيام الساعة، هذا عقاب الزناة والزواني في البرزخ.

وحكى لنا النبي صلى الله عليه وسلم عن أشخاص كادوا أن يقعوا في الفاحشة، وربما يصل الأمر إلى هذه الدرجة، فماذا يفعل الشخص؟ حينئذ، قال الثاني: ((اللهم إنه كانت لي ابنة عم أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيتها بمائة دينار، فسعيت حتى جمعت مائة دينار، فلقيتها بها، فلما قعدت بين رجليها قالت: يا عبد الله، اتق الله، ولا تفتح الخاتم إلا بحقه))، والحق هو عقد الزواج الشرعي ((فقمت عنها))، وهي أحب الناس إليه [رواه البخاري (5974)، ومسلم (2743)]، فقمت عنها، إذن يمكن للإنسان المسلم -لو أنه ساقته نفسه والشيطان والمرأة إلى الفاحشة- أنه في اللحظة الأخيرة يذكر الله تعالى؛ فيقوم، يمكن.

إذن هذه من النظرة إلى اللحظة الأخيرة، إجراءات شرعية لأجل الوقاية من فتنة النساء، وهي المسألة العظيمة في عصرنا -يا عباد الله-، والله إنني ما طرقت هذا الموضوع إلا لأجل رؤية ذلك عياناً بيانياً، والتمعن في أمراضنا، التمعن في مشكلاتنا، إذا تمعنت معي وجدت فعلاً أن من أشنع الأشياء فتنة النساء.

الافتتان بالنساء من سببه؟

وتعلم فعلاً -يا عبد الله-، يا أيها الأخ المسلم- أن القضية بحاجة شديدة إلى مصابرة ومجاهدة، وبعض الناس يقولون: لا تلوّموا الشباب، ولوّموا الفتيات، كيف ذلك؟ اللوم على الجميع، اللوم على الفتاة التي تبرجت، وعلى الشباب الذي استجاب، وعلى وليهما الذي لم يرب هذا، ولم يمنع تلك من الخروج، وعلى الذي يضع العراقيل في طريق الزواج بحجج واهية، ويغلي المهور، ويقول: بنتنا ليست بأقل من بنت فلانة، أو يضع العراقيل الواهية باسم القبلية، والموازن التافهة الدنيوية، ويرد هذا، وهذه بنتنا تريد الدراسة، ونحو ذلك، اللوم على الجميع، ليس أحد بمسئتي.

نسأل الله ألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، ونسأله عز وجل أن يقينا كل هذه الشرور، وأن يجنبنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، هو الحي القيوم، هو الحي لا يموت، والجن والإنس يموتون، أشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً رسول الله، وعبداه ومصطفاه، وخاتم أنبيائه ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اعمل للجنة تنجو من الفتنة:

عباد الله، تعالوا بنا الآن في رحلة أخرى تختلف عن هذه الدنيا تماماً، تعالوا بنا في رحلة تنسينا بالكلية فتنة نساء هذا الكوكب، فإن من علاج القضية أن يتمعن الإنسان فيما أعد الله لمن يصبر من الأجر، فإن من شرب الخمر في الدنيا، ولم يتب لا يشربها يوم القيامة، ومن لبس الحرير من الذكور في الدنيا، ولم يتب لا يلبسه يوم القيامة، فالذي يزني في الدنيا، ولا يتوب، فماذا يكون الموقف يوم القيامة؟ ومن أي شيء يحرم؟ وما هي عاقبة الذين يصبرون على هذا العذاب، وأقول العذاب فعلاً من شدة الفتنة ولأوائها في هذا الزمان، هل الذي يصبر، ويقول له أصحابه: أنت مجنون، أنت معقد، أنت تحرم نفسك هل هذا الذي يصبر سيلاقي شيئاً أم لا؟.

وإن سألت عن عرائسها وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حجَّها فقل ما تشاء في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين، وإن ضمها إليه فما ظنك بتعاقب الغصنين، لو طلعت على الدنيا ملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، ولاستنتظقت أفواه الخلائق تهللاً وتكبيراً وتسييحاً، ولزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها بالحي القيوم، ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيتها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلى محبة ووصالاً، مبرأة من الجبل والولادة، والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق، والبول والغائط، وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يمل طيب وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها؛ فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها؛ فهي غاية أمنيته وهو، وإن سألت عن السن، فأتراب في أعدل سن الشباب، وإن سألت عن حسن الخلق، فهن الخيرات الحسان، اللاتي جمع هن بين الحسن والإحسان، وإن سألت عن حسن العشرة، ولذة ما هنالك، فهن العرب المتحبات إلى الأزواج بلطافة التبع التي تمتزج بالروح أي امتزاج، فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها، وإذا حاضرت زوجها فيا حسن محاضرتها، وإن حاضرت فيا لذة تلك المعانقة والمخالصة، وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع، وإن آنست، وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والإمتاع: {إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنْسَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا} (سورة الواقعة: 35-37)، ففضل المرأة في الدنيا

الصالحة تلك المرأة من الحور العين بصلاتها وصيامها، ويجعلها الله تعالى من العرب، وهي التي جمعت إلى حلاوة الصورة حسن التأني والتبعل والتحبب إلى الزوج، والعروب من النساء المطيعة لزوجها، العاشقة له، المتحبة إليه، أبقاراً ذلك لفضل وطء البكر على الثيب، فجعلهن الله أبقاراً، ولو كانت في الدنيا ثيبة، وقال الله تعالى عن الحور العين: **{لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَنْسَ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ}** (سورة الرحمن:56)، فلم يطأهن ولم يغشهن إنس ولا جان من قبل، **{كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ}** (سورة الرحمن:58) بالياقوت لصفائه، وبالمرجان لبياضه، فجمعن بين هذا البياض والصفاء، وقال أبو هريرة: ألم يقل أبو القاسم: **((إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضوء كوكب دري في السماء، لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة أعزب))** [رواه البخاري (3254)، رواه مسلم (2834)]، وقال صلى الله عليه وسلم: **((ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لمألت ما بينهما رجماً، ولطاب ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها))** [رواه أحمد (12028)] هذا قدر الخمار، فما بالك بقدر اللابسة؟!!

عباد الله، هذه النساء الحسان يغنين لأزواجهن، قال الله عن المؤمنين: **{فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ}** (سورة الروم:15) يحبرون يعني يسمعون النساء، قال صلى الله عليه وسلم: **((إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط، إن مما يغنين: نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرن بقرة أعيان، وإن مما يغنين به: نحن الخالدات فلا يمتن، نحن الآمات فلا يحفن، نحن المقيمات فلا يظعن))** [رواه الطبراني في الصغير (734)] يقلن: نحن الحور الحسان، خبئن لأزواج كرام، وهكذا يتقلب المرء من أهل الجنة، يتقلب المرء بين زوجاته، وهو في هذه الخيمة من اللؤلؤة الجوفة سبعون ميلاً، في كل زاوية له أهل لا يراهم الآخرون، **((لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلبنا))** [رواه الترمذي (1174)] إنها مشتاقه إليه من الآن، إنها تعلم عنه الآن، الآن هي تعلم عنه من نسائه في الجنة، إنها تعلم عنه.

وقد أخبر علي رضي الله عنه في الحديث الموقوف الذي له حكم الرفع: "أنه إذا دخل الجنة خف إليه الغلمان، فتحلقوا حوله، خدمه وحشمه، يستقبلونه، يذهب واحد منه مسرعاً إلى بيته، فيخبر تلك الحورية بأن زوجها على وشك الوصول؛ فلا تصبر حتى تخرج إلى أسكفة الباب لتستقبله"، فإنه استقبال عظيم "يومئذ يعطى الرجل قوة مائة في الجماع".

ويصل إلى نسائه في الجنة، وهي تهب ربح الشمال كما جاء في صحيح مسلم: **((كل جمعة... فتحشوا في وجوههم وثيابهم؛ فيزدادون حسناً وجمالاً، فيرجعون إلى أهلهم، وقد ازدادوا حسناً وجمالاً، فيقول لهم أهلهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً))** [رواه مسلم (2833)].

فأين هذا من لذة ساعة شر إلى قيام الساعة؟ فإذا قامت الساعة كان ذلك أشد وأنكى، أين هذا يا عبد الله؟! هذه الصفات للحور العين، من هؤلاء النساء مهما تجملت، فغالب زينتها المكياج الزائف، ومهما كانت جميلة، فانظر إليها بعد سنين، فإنها تكون في غاية القبح والذمامة، وتصبح عجوزاً شوهاء، ومع ذلك فإن الاستمتاع بها مكدر

في حيضها ودمها، وطمثها وإفرازاتها، وسائر الأشياء المقرفة التي تخرج منها، أين هذا من هؤلاء الأزواج المطهرة؟
فمن صبر هنا كان له هذا هناك، ومن لم يصبر هنا فإيا سوء ذلك الحرمان، نعوذ بالله من الخذلان.
اللهم إنا نسألك الفوز بالجنان، والعتق من النيران، اللهم هب لنا من زوجاتنا قرة أعين، واجعلنا للمتقين إماماً،
اللهم طهر قلوبنا، وحصن فروجنا، يا أرحم الراحمين يا رب العالمين، باعد بيننا وبين الفتن ما ظهر منها وما بطن،
ارزقنا العفة والعفاف، والأمن والإيمان، اللهم انشر الأمن والإيمان في بلدنا هذا، وسائر بلاد المسلمين، اللهم
آمننا في الأوطان والدور، وأرشد الأئمة وولاة الأمور، واغفر لنا يا عزيز يا غفور إنك أنت أرحم الراحمين.
اللهم انصر المجاهدين، اللهم انصر هذه الأمة، اللهم ردها إلى كتابها وسنة نبيها، وأيقظها من سباتها، واكتب لها
النصر على أعدائها يا رب العالمين، اللهم اجعلنا في بلدنا آمنين مطمئنين، وسائر إخواننا المسلمين يا رب العالمين،
اللهم انصر من نصر الدين، واخذل من خذل المسلمين يا رب العالمين.
سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.